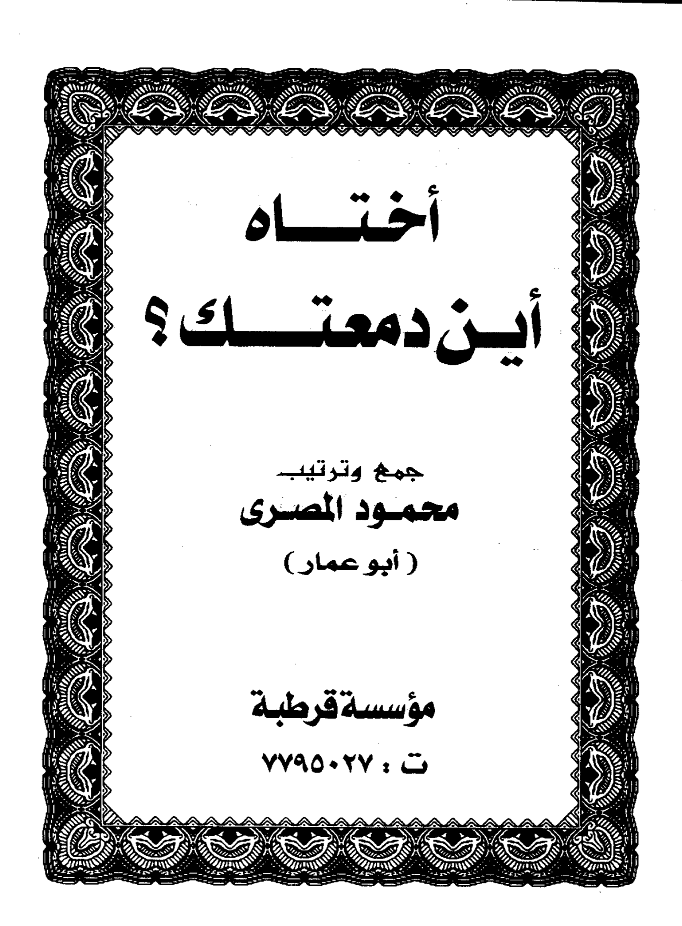


أختـــاه

أيـن دمعتـــك ؟

جمع وترتيب

محمـود المصـرى

(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة

ت : ٧٧٩٥٠٢٧

الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع	٢٠٠٢/١٦٠٠٩
الترقيم الدولى	I.S.B.N. 977-5234-85-9

تطلب منشوراتنا من

دار فجر الإسلام

ميدان الشون - المحلة الكبرى ٠١٢/٣٧٥٢٨٣٣

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧

٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت : ٠١٠١٢٣٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة ت: 7771039

الكمبيوتر: إبراهيم حسن

ت: ٥٤٦٧٨٠٢

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١). أما بعد:

قال الله تعالى: «وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين، إن هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم أجمع عبادى، وإن هو خافنى فى الدنيا أمَّنته يوم أجمع

عبادى»[١].

ولذلك فأنا أبدأ رسالتى إليك أيتها الأخت الفاضلة بسؤال مهم: هل تذكرين آخر دمعة سقطت من عينيك - خوفًا من الله عز وجل؟!.

أختاه: لما طغت الماديات والشهوات على قلوب أكثر الناس - ولا حول ولا قوة إلا بالله - وإذا بالقلوب أصبحت فى قسوة لا يعلمها إلا الله، وإذا بالدموع أصبحت عملة نادرة بين الناس - إلا من رحم الله.

فنجد أكثرهم لا تسقط دموعهم إلا على فوات الدنيا أو على موتٍ حبيب أو قريب... لكننا لم نعد نرى أو حتى نسمع عمن يبكى من خشية الله - إلا من رحم الله.

ولو يعلم الناس أن تلك الدمعة التى تسقط من خشية الله هى أغلى من الدنيا وما فيها... فهذه الدمعة تنجى العبد من عذاب الله يوم القيامة.

أختاه: إن البكاء دليلٌ على خشيتك لله ومراقبتك له.

وهو دليل على حياة قلبك واستقامة جوارحك.. وهو دليل على رقة قلبك وسرعة استجابته لأمر الله... وهو طريق يوصلك إلى محبة الله ورضوانه... والبكاء يورث الخوف من الله، وهو علامة على صحة الإيمان، وهو

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية - صحيح الجامع (٤٣٣٢).

سبب من أعظم أسباب النجاة يوم القيامة.

أختاه: وأكرر سؤالى مرة أخرى: أين دمعتك؟

أين دمعتك.. أين دمعتك؟.

أختاه: لو سقطت دمعتك الآن فاحذرى أن يراها أحد وأمسكى هذه الدمعة وقولى: يارب هذه الدمعة هى أغلى ما عندى فلقد سقطت من خشيتك فاجعلها سببًا للنجاة من أهوال يوم القيامة، فأنا فقيرة إلى مغفرتك ورحمتك.

وأنت غنى عن عذابى... ورحمتك وسعت كل شىء، وذنبى مهما عظم فهو شىء ورحمتك ستسعه لا محالة فارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة مَن سواك يا أرحم الراحمين.

نعم يا أختاه: سلى نفسك دائمًا: أين دمعتى؟

فالخير كل الخير فى القلوب الحية والعيون الباكية من خشية الله والألسنة الذاكرة لله.

فهيا لنسبح فى بحر الدموع عسى أن نجد فيه سفينة للنجاة لنصل إلى شاطئ الأمان فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)

ويحذركم الله نفسه

قال تعالى: ﴿وإياى فارهبون﴾ (البقرة: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ (البروج: ١٢).

وقال تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ (آل عمران: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس: ٣٤ - ٣٧)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: ١، ٢)، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن: ٤٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: ٢).

إن الخائفين قومٌ ذلت - والله - منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم - والله - أصحاب القلوب، قد كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرون رد

الجواب.

والله لقد كابدوا فى الدنيا حزنًا شديدًا، وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار.

«كلما أذهب الأعمار طلوعهم وغروبهم، سالت من الأجفان جزعًا غروبهم، وكلما لاحت فى مرآة الفكر ذنوبهم تجافت عن المضاجع خوفًا جنوبهم، وكلما نظروا فساءهم مكتوبهم وجلت قلوبهم».

أموات عن الدنيا ما دُفنوا، وأغمضوا عنها عيونهم وحزنوا، باعوها بما يبقى فلا والله ما غُبنوا، تالله لقد حصل مطلوبهم، ﴿**إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم**﴾.

حبسوا النفوس فى سجن المحاسبة، وبسطوا عليها ألسن المعاتبة، ومدوا نحوها أكف المعاقبة، فارتفعت بالمعاتبة عيوبهم، ﴿**إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم**﴾[1].

فضل البكاء من خشية الله

قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٩).

(١) التبصرة (١/ ٣٩٤ - ٣٩٥).

وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ﴾ (النجم: ٥٩: ٦٠).

* وعن أبى هريرة رضى اللَّه عنه، قال: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «لاَ يَلجُ النَّارَ رَجُلٌ بكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّه حتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فى الضَّرْعِ ولا يَجْتَمعُ غُبَارٌ فى سَبيلِ اللَّه ودُخانُ جَهَنَّمَ»(١).

* وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سبعةٌ يُظلُّهم اللهُ فى ظله يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ - وذكر منهم - ورجلٌ ذكرَ الله خاليًا ففاضتْ عيناهُ»(٢).

* وعن أبى أُمامة صُدَىِّ بن عَجلانَ الباهلىِّ رضىَ اللَّه عنه، عن النبىِّ ﷺ قال: «لَيْسَ شَىءٌ أَحَبَّ إِلى اللَّه تعالى من قَطْرَتَين وأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعٍ من خَشيَةِ اللَّه وَقَطرةُ دَمٍ تُهرَاقُ فى سَبِيلِ اللَّه تعالى، وأماَّ الأثران فأثر فى سبيل الله تعالى وأَثَرٌ فى فَرِيضَةٍ منْ فَرَائضِ اللَّه تعالى»(٣).

* كان الحسن يقول: ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا حرم الله جسدها على النار، فإن فاضت على خدها

(١) رواه الترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٧٨).
(٢) أخرجه البخارى (٢/ ٦٦٠) الأذان - ومسلم (١٠٣١) الزكاة.
(٣) رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٣٦٣).

لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة، وليس من عمل إلا له وزن وثواب إلا الدمعة من خشية الله فإنها تطفئ ما شاء الله من حر النار، ولو أن رجلاً بكى من خشية الله فى أمة لرجوت أن يرحم الله ببكائه تلك الأمة بأسرها[١].

* وقال أُوَيْسُ القرنى: «كُنْ فى أمر الله كأنك قتلتَ الناس كلهم».

وفى رواية: «لا تنال هذا الأمر حتى تكون كأنك قتلتَ الناس أجمعين»[٢].

نزف البكاءُ دموعَ عينكَ فاستعِرْ
عينـاً لغـيركَ دمعهـا مـدرارُ
مَن ذا يُعـيرُكَ عينَـهُ تبكى بهـا
أرأيـتَ عينـاً للدُّمـوع تُعـارُ

فلا يغترّ أحدُ بمكان صالح، فلا مكان أصلح من الجنة، ولقى فيها آدم ما لقى. ولا يغترّ أحدٌ بلقاء الصالحين ورؤيتهم، فلا شخص أصلحُ من النبى ﷺ، ولم ينتفع بلقائه أعداؤه والمنافقون.

---

(١) الزهد/ للحسن البصرى (ص: ١٣٨ : ١٣٩) ط. دار الحديث.
(٢) شُعب الإيمان/ للبيهقى.

البكاء بين المدح والذم

المفروض أن يكون البكاءُ خشيةً من الله تعالى وخوفًا منه، وطمعًا فى رحمته، فهذا هو البكاء المحمود أو أن يكون البكاءُ من سماعِ القرآن وما فيه بعد تدبره وتأمله، أو أن يكون لمعنى إنسانىَ نبيل كما فعل سيد البشر ﷺ حين مات ابنه إبراهيم، وهذا كله من البكاء المحمود المشروع.

أما بكاء التصنع وما فيه، سواء كان ذلك لإثبات صدق قول أو دعوى أو ما إلى ذلك كما فعل إخوة يوسف، فهذا من البكاء المذموم؛ لأنه لا يكاد يدل على صدق الإنسان فى فعله أو فعاله، وقد قيل: إن المصنوع لا يخفى، وقال حكيم:

إذا اشتبكت دموعٌ فى خدود

تبين من بكى ممن تباكى(١)

أنواع البكاء

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله:

والبكاء أنواع، أحدها: بكاء الرحمة، والرقة.

والثانى: بكاء الخوف والخشية.

والثالث: بكاءُ المحبة والشوق.

---

(١) تفسير القرطبى (٩/٩٦).

والرابع: بكاءُ الفرح والسرور.

والخامس: بكاء الجَزَع من ورود المؤلم وعدم احتماله.

والسادس: بكاءُ الحزن.

والفرق بينه وبين بكاء الخوف، أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه، أو فوات محبوب، وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك، والفرق بين بكاء السرور والفرح، وبكاء الحزن، أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان، ودمعة الحزن حارة والقلب حزين، ولهذا يقال لما يُفرح به: هو قرة عين، وأقر الله به عينه، ولما يُحزن: هو سخينةُ العين، وأسخن الله عينه به.

والسابع: بكاء الخور والضعف.

والثامن: بكاء النفاق، وهو أن تدمع العين، والقلب قاسٍ، فيظهر صاحبه الخشوع، وهو من أقسى الناس قلبًا.

والتاسع: البكاء المستعار والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة، فإنها كما قال عمر بن الخطاب: تبيعُ عبرتها، وتبكي شجو غيرها.

والعاشر: بكاء الموافقة، وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم، فيبكي معهم، ولا يدري لأي شيء يبكون، ولكن يراهم يبكون، فيبكي.

وما كان منه مستدعى متكلفًا، فهو التباكي، وهو

نوعان: محمود، ومذموم، فالمحمود، أن يُستجلب لرقة القلب، ولخشية الله، لا للرياء والسمعة. والمذموم: أن يُجتلب لأجل الخلق، وقد قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ وقد رآه يبكى هو وأبو بكر فى شأن أسارى بدر: أخبرنى ما يبكيك يا رسول الله؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد تباكيت، لبكائكما[1]، ولم ينكر عليه ﷺ[2].

النبى ﷺ يربى أصحابه على الخشية من الله

وكان النبى ﷺ يربى أصحابه على الخشية من الله (عز وجل) والرجاء فيما عند الله (جل وعلا) لكنه كان يُغلِّب جانب الخوف على الرجاء ليحذروا من الوقوع فى معصية الله (جل وعلا).

فكان ﷺ يحذرهم من أن يغتر أحدهم بعمله فإن العبد لا يدرى هل يُختم له بخيرٍ أم بشرٍ.

فقد قال ﷺ: «... إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٧٦٣) ضمن حديث مطول في الجهاد: باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر.
(٢) زاد المعاد (١/ ١٨٤ - ١٨٥) بتصرف.

الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[١].

وكان يخبرهم بأن شأن الآخرة يحتاج إلى طول فكر وبكاء عسى الله أن يرحم صاحب تلك الدموع التى سقطت من خشيته (جل وعلا).

عن أنس رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ خُطبة ما سمعتُ مثلها قطُّ، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم، ولهم خنين[٢].

وكان يغتنم كل فرصة تذكرهم بالآخرة.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال: «هل تدرون ما هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها، فسمعتم وجبتها»[٣].

وكان يحذرهم من التفريط ويذكرهم دومًا بأن لقاء الله قريب وسيُسأل كل عبدٍ عما اقترفه فى تلك الحياة الدنيا.

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه، قال: قال رسول

(١) أخرجه البخارى (٣٢٠٨) بدء الخلق - ومسلم (٢٦٤٣) القدر.

(٢) أخرجه البخارى (٤٦٢١) تفسير القرآن ومسلم (٢٣٥٩) الفضائل.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٤) الجنة.

الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمانٌ، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»(١).

وعن أبى برزة - براء ثم زاى - نضلة بن عبيد الأسلمى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»(٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»(٣).

وكان يرسم لهم صورة حية لصفة حشر الناس يوم القيامة.

عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُحشرُ الناسُ يوم القيامة حفاة عراة غرلاً» قلت: يا رسول الله الرجالُ والنساءُ جميعًا ينظرُ بعضهم إلى

---

(١) أخرجه البخارى (٦٥٣٩) - ومسلم (١٠١٦) الزكاة.

(٢) رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(٣) رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن يهمهم ذلك»(١).

وكان يخوفهم من عذاب النار ليجتهدوا فى طاعة الله ويحذروا من معصيته وليجعلوا بينهم وبين النار وقاية تقيهم من عذابها.

قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(٢).

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل يوضع فى أخمصِ قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه ما يرى أن أحدًا أشدُّ منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا»(٣).

وعن سمرة بن جُندب رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ قال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حُجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقُوته»(٤).

---

(١) أخرجه البخارى (٦٥٢٧) الرقاق - ومسلم (٢٨٥٩) الجنة.
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) الجنة.
(٣) أخرجه البخارى (٦٥٦١) الرقاق - ومسلم (٢١٣) الإيمان.
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٤٥) الجنة.

خوف الملائكة

قال تعالى فى صفتهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: ٥٠).

وقال رسول الله ﷺ: «مررتُ ليلةَ أُسرى بى بالملأ الأعلى، وجبريل كالحلس البالى من خشية الله تعالى»(١).

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «ما لى لا أرى ميكائيل يضحك؟» قال: ما ضحك ميكائيل منذ خُلقت النار»(٢).

خوف الأنبياء (صلوات ربى وسلامه عليهم)

• آدم (عليه السلام)

قال وهب: بكى آدم عليه السلام على الجنة ثلاثمائة عام، وما رفع رأسه إلى السماء بعدما أصاب الخطيئة.

• نوح (عليه السلام)

وقال وهيب بن الورد: لما عاتب الله تعالى نوحًا عليه السلام فى ابنه فقال: ﴿إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجاهلين﴾

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط عن جابر - صحيح الجامع (٥٨٦٤).

(٢) رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين. وقال العراقى فى تخريج الإحياء: إسناده جيد.

(هود:٤٦)، بكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت عينيه أمثال الجداول من البكاء.

• إبراهيم (عليه السلام)

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: كان يُسمع لصدر إبراهيم عليه السلام إذا قام إلى الصلاة أزيز من بُعد خوفًا من الله عز وجل.

• داود (عليه السلام)

قال مالك بن دينار: كان داود إذا ذكر الخطيئة فى الليل، خرج حتى ينظر إلى السماء، ثم يبكى ويقول: إليك رفعت رأسى يا ساكن السماء نظر العبيد إلى أربابها يا عامر السماء، ثم لا يزال يبكى حتى يصبح.

وعن إسماعيل بن عبيد قال: كان داود إذا عوتب فى كثرة البكاء قال: دعونى أبكى قبل يوم البكاء، قبل احتراق العظام، واشتعال اللحى، قبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[1].

• يحيى بن زكريا (عليهما السلام)

وعن مجاهد قال: كان يحيى بن زكريا يأكل العشب، وإن كان ليبكى من خشية الله ما لو كان القار على عينه

---

(١) الزهد للإمام أحمد (١/ ١٣٥) والرقة والبكاء (ص: ٢٤٧).

لحزقه، وكانت الدموع قد اتخذت مجرى فى وجهه.

وعن وهيب بن الورد قال: كان يحيى بن زكريا له خطان فى وجهه من البكاء.

فقال له أبوه زكريا: إنى إنما سألت الله ولدًا تقر به عينى، فقال: يا أبه! إن جبريل أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكَّاء.

خوف الحبيب ﷺ من الله (عزوجل)

ونختم هذه الأمثلة من تعظيم الأنبياء لربهم سبحانه وخوفهم منه ببعض المشاهد من تعظيم نبينا محمد ﷺ لربه وخوفه منه مع أنه سيد المرسلين، وقد غفر له ما تقدم وما تأخر. ولا غرابة فى ذلك فهو كما قال عن نفسه ﷺ: «فوالله إنى لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»(١).

* عن أبى ذرٍّ رضى اللَّهُ عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنِّى أرى مالا تَرَوْنَ، أطَّت السَّماءُ وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئطَّ، مَا فيهَا موضعُ أربَعِ أصَابعَ إلاَّ ومَلَكٌ واضعٌ جبهتهُ ساجدًا للَّه تَعَالى، واللَّه لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحكتمْ قَليلاً، ولَبَكَيْتُمْ كثيرًا، وما تَلَذَّذتُم بالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ، ولَخَرَجْتُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٥٦) الفضائل - والبخارى فى الأدب المفرد (٦١٠١).

إِلى الصُّعُدات تَجْأَرُون إِلى اللَّه تَعَالَى»(١).

* وعن أبى سعيد الخُدْرِىِّ رضى اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَد الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذلك ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ رسول اللَّه ﷺ فقالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّه وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»(٢).

* وعَن عبد اللَّه بن الشِّخِّير رضى اللَّه عنه، قال: أَتَيْتُ رسُولَ اللَّه ﷺ وَهُو يُصلِّى ولجوْفِه أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاء(٣).

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا قط حتى أرى منه لهواته. إنما كان يتبسم وقالت: كان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف ذلك فى وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيها المطر، وأراك إذا رأيته عُرف فى وجهك الكراهية؟ فقال: «يا عائشة ما يؤمننى أن يكون فيه عذاب! قد عُذِّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا:

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجة - صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٢) رواه الترمذى - صحيح الجامع (٤٥٩٢).

(٣) رواه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٧٩٩).

هذا عارض ممطرنا»[١].

وعن أم العلاء الأنصارية قالت: قال رسول الله ﷺ: «والله لا أدرى وأنا رسول الله ما يُفعل بى ولا بكم». وقال: «لن ينجى أحدًا منكم عمله ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته»[٢].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت؟ قال: «شيبتنى، هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»[٣].

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ علىَّ القرآن» قال: فقلتُ: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟. قال: «إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى»، فقرأت النساء حتى إذا بلغتُ: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا﴾ رفعتُ رأسى أو َغمزنىَ رجل إلى جنبى فرفعت رأسى فرأيت دموعه تسيل[٤].

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: زار النبى ﷺ قبر

(١) أخرجه البخارى (٤٨٢٩) التفسير - ومسلم (٨٩٩) الاستسقاء.
(٢) أخرجه البخارى ومسلم.
(٣) رواه الترمذى والحاكم - صحيح الجامع (٣٦١٧).
(٤) أخرجه البخارى (٤٥٨٢) ومسلم (٨٠٠) واللفظ له.

أمه. فبكى وأبكى من حوله فقال: «استأذنتُ ربى فى أن أستغفر لها فلم يُؤذن لى. واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى. فزوروا القبور. فإنها تُذكرُ الموت»(١).

صفة بكاء النبى ﷺ

وأما عن صفة بكاء النبى ﷺ فلقد كان من جنس ضحكه فلم يكن بشهيق ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن كانت تدمعُ عيناه حتى تَهْمُلا، ويُسمع لصدره أزيزٌ. وكان بكاؤه تارة رحمة للميت، وتارة خوفًا على أمته وشفقة عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال، مصاحبٌ للخوف والخشية. ولما مات ابنُه إبراهيم، دمعت عيناه وبكى رحمة له، وقال: «تدمع العينُ، ويحزنُ القلبُ، ولا نقولُ إلا ما يُرضى ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»(٢). وبكى لما شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض، وبكى لما قرأ عليه ابنُ مسعود سورة (النساء) وانتهى فيها إلى قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾(٣)

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦).
(٢) أخرجه البخارى (٣/ ١٣٩) ومسلم (٢٣١٥).
(٣) أخرجه البخارى (٨/ ١٨٨) ومسلم (٨٠٠).

(النساء: ٤١) وبكى لما مات عثمان بن مظعون، وبكى لما كسفت الشمس، وصلى صلاة الكسوف، وجعل يبكى فى صلاته، وجعل ينفخ، ويقول: «ربِّ ألم تعدنى ألا تُعذبهم وأنا فيهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك»(١). وبكى لما جلس على قبر إحدى بناته(٢). وكان يبكى أحيانًا فى صلاة الليل(٣).

خوف الصحابة والتابعين (رضى الله عنهم)

يقول علِّى بن أبى طالب عن الصحابة ـ وقد علته كآبةٌ ـ: لقد رأيتُ أصحابَ محمد ﷺ، فلمْ أرَ اليوم شيئًا يُشْبهم، لقد كانوا يُصبحون شُعْثًا غُبْرًا، بين أعينهم أمثال رُكَبِ المعزى، قد باتوا لله سُجّدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يَميد الشجر فى يومِ الريح، وهمَلتْ أعينهم حتى تبلّ ثيابهم، والله فكأنى بالقوم باتوا غافلين. فما رُئى بعد ذلك ضاحكًا حتى ضربه ابنُ مُلجم.

الصديق (رضى الله عنه) وخوفه من الله تعالى

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

(١) رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح.
(٢) أخرجه البخارى (٣/ ١٦٧) الجنائز.
(٣) زاد المعاد (١/ ١٨٣ - ١٨٤).

ومن تأمل أحوال الصحابة - رضى الله عنهم - وجدهم فى غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن، فهذا الصديق رضى الله عنه يقول: وددت أنى شعرة فى جنب عبد مؤمن. ذكره أحمد عنه.

وذكر عنه أيضًا: أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد.

وكان يبكى كثيرا ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل(١).

وعن أنس قال: قال أبو بكر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكى أن أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، ولكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها(٢).

وعن عائشة رضى الله عنها فى حديث الهجرة الطويل، وفيه: ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان

---

(١) الداء والدواء للإمام ابن القيم (ص: ٤٧، ٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٥٤) فضائل الصحابة - باب فضل أم أيمن.

يُصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقذَّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن(١).

وعن ابن عَمَر رضى اللَّه عنهما، قال: «لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُول اللَّه ﷺ وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ فِي الصَّلاَة فقال: «مُرُوا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاس» فقالتْ عائشةُ رضى اللَّه عنها: إنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقيقٌ إذَا قَرَأَ القُرآنَ غَلَبَهُ البُكاءُ، فقال: «مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ»(٢).

فاروق الأمة (رضى الله عنه) وخوفه من الله تعالى

وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ (الطور: ٧) فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو فى الموت: ويحك ضع خدى على الأرض، عساه أن يرحمنى ثم قال: بل ويل أمى، إن لم يغفر الله لى، ثلاثًا ثم قضى، وكان يمر بالآية فى ورده بالليل فتخيفه، فيبقى فى البيت أياما يُعاد، يحسبونه مريضًا، وكان فى وجهه رضى الله عنه

(١) أخرجه البخارى (٣٩٠٥) مناقب الأنصار ـ باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٢) [صحيح]: أخرجه البخارى (٢/ ٧١٣/ فتح) الأذان/ باب: الرجل يأتم بالإمام، ومسلم (٤١٨) فى الصلاة.

خطان أسودان من البكاء.

وقال له ابن عباس: مصَّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل، فقال: وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر[١].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا وخرجتُ معه، حتى دخل حائطًا، فسمعتُه يقول - وبيني وبينه جدار، وهو في جوف الحائط - عمرُ بن الخطاب أميرُ المؤمنين! بَخٍ[٢]! والله لتتقين الله يا ابن الخطاب، أو ليعذبنّك[٣].

عثمانَ (رضي الله عنه) وخوفه من الله تعالى

كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر يبكي حتى يبلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد».

قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه»[٤].

---

(١) الداء والدواء/ للإمام ابن القيم (ص:٤٨).

(٢) اسمُ فعل يُقال عند الرضا بالشيء.

(٣) إسناده صحيح متصل، موقوف على عمر رضي الله عنه، أخرجه أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجة - صحيح ابن ماجة (٣٤٦١).

وعن عبد الله بن الرومى، قال: «بلغنى أن عثمان رضى الله عنه قال: «لو أنى بين الجنة والنار، ولا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى، لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير».

على (رضى الله عنه) وخوفه من الله تعالى

وقال رضى الله عنه: «إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطُول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مُدبرة، ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مُقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل»(١).

عبد الرحمن بن عوف (رضى الله عنه)

وعن إبراهيمَ بنِ عبد الرَّحمنِ بنِ عوفٍ أَنَّ عبدَ الرَّحمنِ بنَ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّه عنهُ أُتِيَ بطَعامٍ وكانَ صائمًا، فقالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيرٍ رضيَ اللَّه عنه، وهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَه ما يُكَفَّنُ فيه إلاَّ بُرْدَةٌ إنْ غُطِّي بها رأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاُه، وإنْ غُطِّيَ بها رِجْلاه بَدَا رأسُهُ، ثُمَّ بُسطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا ما بُسِطَ أَوْ قالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيا مَا أُعْطِينَا قَدْ خَشِينَا

(١) صفة الصفوة (١/ ١٣٠).

أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنا عُجِّلَتْ لَنا. ثُمَّ جَعَلَ يبْكى حَتَّى تَرَكَ الطَّعامَ (١).

عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) وخوفه من الله تعالى

وعن أبى وائل قال: قال عبد الله: وددت أن الله غفر لى ذنبًا من ذنوبى، وأنه لا يُعرف نسبى.

وعن عون بن عبد الله، عن أخيه عُبيد الله قال: كان عبد الله إذا هدأت العيونُ، قام فسمعتُ له دويًا كدوىِّ النحلِ(٢).

ابن عمر (رضى الله عنهما) وخوفه من الله تعالى

لقد كان ابن عمر رضى الله عنهما إذا دخل صومعته، وقام بين يدى الله جل وعلا صار من كثرة البكاء كالعصفور المبلَّل بماء المطر. فلقد كان كأبيه عظيم الخشية من الله.. شديد المراقبة له فى السر والعلن.

وها هى نبذة من خوفه وخشيته من الله جل وعلا.

عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى

(١) أخرجه البخارى (١٢٧٤) الجنائز.
(٢) أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ (٢/٥٤٨) وابن سعد (٣/١/١١٠).

يغلبه البكاء[١].

وعن سمير الرياحي عن أبيه، قال: شرب عبد الله بن عمر ماءً مبردًا فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ: ٥٤]، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئًا شهوتهم الماء، وقد قال الله عز وجل: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٥٠][٢].

وقال رجل لابن عمر يومًا: يا خير الناس، أو يا ابن خير الناس.

فقال: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله، أرجو الله، وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه[٣].

وعن نافع، قال: دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على

---

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٤١).

(٣) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٧).

هذه الدنيا إلا خوفك.

عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) وخوفه من الله تعالى

وهذا الصحابى الجليل (عبد الله بن عمرو بن العاص) يقول: «لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلىَّ من أن أتصدَّق بألف دينار»[١].

وعن يعلى بن عطاء عن أبيه قال: كنت أصنع الكُحل لعبد الله بن عمرو وكان يُطفئ السراج بالليل ثم يبكى حتى رسعت عيناه[٢].

حَبر الأمة (رضى الله عنه) وخوفه من الله تعالى

وعن سماك أن ابن عباس سقط فى عينيه الماء فذهب بصره، فأتاه هؤلاء الذين ينقبون العيون ويسيلون الماء، فقالوا: خل بيننا وبين عينيك نسيل ماءهما، ولكنك تمكث خمسة أيام لا تصلى (يعنى قائمًا). قال: لا والله ولا ركعة واحدة، إنى حُدثت أنه من ترك صلاة واحدة متعمدًا لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان[٣].

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب وابن الجوزى فى صفة الصفوة - وإسناده حسن.

(٢) حلية الأولياء (١/ ٢٩٠) - وابن عساكر (٢٤٣).

رسعت عيناه: أى تغيرت وفسدت والتصقت أجفانها.

(٣) صفة الصفوة (١/ ٣٢٥).

بهذه الخشية فضّل هذا الرجل علينا

عن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيرًا ما كان يخطر ببالى، فأقول فى نفسى: بأى شىء فُضِّل هذا الرجل علينا، حتى اشتهر فى الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلى إنا نصلى، وإن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج!

قال: فكنا فى بعض سيرنا فى طريق الشام ليلة نتعشى فى بيت، إذ طُفِىء السراج، ثم جاء بالسراج، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع فقلت فى نفسى: بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى ظلمة ذكر القيامة[1] ففاضت عيناه.

عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه)

قالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك للمغيرة بن حكيم: يا مغيرة إنى أعلم أنه قد يكون فى الناس من هو أكثر صلاة وصوما من عمر فأما أن أكون رأيت رجلا أشد فرقًا من ـ ربه عز وجل ـ من عمر فإنى لم أره، كان إذا صلى العشاء الآخرة ألقى نفسه فى مسجده فيدعو ويبكى حتى تغلبه عينه

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٢١).

ثم ينتبه فيدعو ويبكى حتى تغلبه عينه فهو كذلك حتى يصبح(١).

عن عطاء بن أبى رباح، قال: حدثتنى فاطمة امرأة عمر ابن عبد العزيز أنها دخلت عليه، فإذا هو فى مُصلاه يده على خده سائلة دموعه، فقلت: يا أمير المؤمنين! ألشىء حدث؟ قال: يا فاطمة! إنى تقلدت أمرَ أمَّة محمد ﷺ فتفكرت فى الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعارى المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذى العيال فى أقطار الأرض، فعلمتُ أنَّ ربى سيسألنى عنهم، وأن خصمهم دونهم محمد ﷺ. فخشيت ألا تثبت لى حجة عند خصومته فرحمت نفسى فبكيت.

(عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، أنه بكى يومًا بين أصحابه فسُئل عن ذلك، فقال: فكرت فى الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضى حتى تُكدرها مرارتُها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر، إن فيها مواعظ لمن ادَّكر»(٢))(٣).

---

(١) الزهد للإمام أحمد (ص: ٢٩٩).
(٢) ادَّكر: تذكَّر.
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٨).

كان يبكى حتى يبول الدم خوفاً من ربه

وها هو أمير المؤمنين فى الحديث (سفيان الثورى) - رحمه الله - كان يبكى حتى يبول الدم خوفًا من ربه، قال عنه عبد الرحمن بن مهدى: ما عاشرت رجلاً أرق من سفيان الثورى وكنت أرمقه الليلة، فما كان ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ينادى: النار النار، شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه: «اللَّهم إنك عالم بحاجتى غير معلم، ما أطلب إلا فكاك رقبتى من النار، لو كان لى عذر فى التخلى ما أقمت مع الناس طرفة عين» ثم يقبل على صلاته، وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنتُ لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه.

وعن أبى نعيم قال: كان سفيان الثورى إذا ذكر الموت لا يُنتفع به أيامًا، فإذا سُئل عن الشىء، قال: لا أدرى، لا أدرى.

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال: مات سفيان الثورى عندى، فلما اشتد به جعل يبكى، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئًا من الأرض، فقال: والله لذنوبى أهونُ عندى من ذا، إنى أخاف أن أُسْلب الإيمان قبل أن أموت.

الربيع بن خثيم (رحمه الله)

* عن مالك بن دينار قال: قالت ابنة الربيع بن خُثَيْم: يا أبتاه، إنى أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ قال: يا بنية، إن أباك يخاف البيات»(١).

ولما رأت أم الربيع بن خُثَيْم ما يلقى الربيع من البكاء والسَّهَر نادته فقالت: يا بنى لعلك قتلتَ قتيلاً؟ فقال: نعم يا والدة، قتلتُ قتيلاً. فقالت: ومن هذا القتيل يا بنى، نتحمل على أهله فيعفوك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسَّهر لقد رحموك؟ فيقول: يا والدتى، هى نفسى.

على بن الفضيل.... يموت عند سماع تلك الآية

وقال محمد بن ناجية: صليتُ خلف الفضيل، فقرأ ﴿الحاقة﴾ فى الصبح، فلما بلغ إلى قوله: ﴿خذُوهُ فغُلُّوهُ﴾، غلبه البكاءُ، فسقط ابنهُ (علىٌّ) مغشيًا عليه(٢).

«قال الخطيب: مات قبل أبيه بمدَّةٍ، من آيةٍ سمعَها تُقرأ، فغُشى عليه وتُوفى فى الحال»(٣).

«وقال إبراهيم بن بشار: الآية التى مات فيها علىٌّ بن

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوى (٢/ ٥٧٠)، والحلية (٢/ ١١٤).
(٢) (٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٣، ٤٤٤) بتصرف.

الفضيل في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ..﴾ الآية (الأنعام:٢٧)، مع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلى عليه، رحمه الله»[١].

ثمرات الخوف

ومن ثمرات الخوف، أنه يقمع الشهوات، ويُكدر اللذات، فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهًا عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سُمًا، فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ويصير مستوعب الهم لخوفه، والنظر فى خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له الشغل إلا المراقبة والمحاسبة، والمجاهدة، والضنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس فى الخطرات والخطوات والكلمات، ويكون حاله كحال من وقع فى مخالب سبع ضار لا يدرى أيغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلكه، ولا شغل له إلا ما وقع فيه، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى، وصفاته، وبعيوب النفس، وما بين يديها من الأخطار والأهوال[٢].

(١) المرجع السابق. (٢) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٧٣).

(قال الحسن البصري: «إن المؤمنين قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم والله أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: ﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن﴾ (فاطر: ٣٤)، والله لقد كابدوا فى الدنيا حُزنًا شديدًا، وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار»)[١].

وبكى هشام الدستوائى حتى فسدت عيناه وكانت مفتوحة، وهو لا يبصر بها.

وبكى يزيد الرقاشى أربعين سنة حتى أظلمت عيناه وأحرقت الدموع مجاورتها.

وبكى ثابت البنانى حتى كاد بصره أن يذهب، وقيل له: نُعالجك، على أن لا تبكى فقال: لا خير فى عين لم تبك.

بكى الباكون للرحمن ليلاً
وباتوا دمعهم ما يسأمونا

بقاعُ الأرض من شوقى إليهم
تحنُ متى عليها يسجدونا

كان الفضل قد ألف البُكا، حتى ربما بكى فى نومه حتى يسمع أهل الدار:

(١) التخويف من النار لابن رجب (ص: ٢٣).

ورقّت دموع العـين حتـى كأنها
دموع دموعى، لا دموع جفونى

وكان أبو عبيدة الخواص يبكى، ويقول: قد كبرت فأعتقنى.

ويقول الحسن بن عدقة: رأيت يزيد بن هارون بواسط من أحسن الناس عينين ثم رأيته بعد ذلك مكفوف البصر فقلت له: ما فعلت العينان الجميلتان؟ قال: ذهب بهما بكاء الأسحار[(١)].

البكاء سبب للنجاة

أختاه: اعلمى أن البكاء من خشية الله سبب من أعظم أسباب النجاة من عذاب الله فى الدنيا والآخرة.

لقد جاء عقبة بن عامر رضى الله عنه يسأل النبى ﷺ عن أسباب النجاة فقال: يا رسول الله ما النجاة؟ فقال له ﷺ: «أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك»[(٢)].

فجعل النبى ﷺ البكاء من أسباب النجاة فى الدنيا والآخرة.

طوبى لمن بكى على خطيئته

بل قال ﷺ: «طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى

(١) مواعظ ابن الجوزى (ص: ٥٠، ٥١).
(٢) رواه الترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٩٢).

على خطيئته»[١].

ولما سُئل النبى ﷺ: ما هى طوبى؟ فأجاب الحبيب المصطفى ﷺ وقال: «طوبى شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»[٢].

فى ظل عرش الرحمن (جل وعلا)

بل تخيلى أيتها الأخت الفاضلة عندما تقفين فى أرض المحشر فى انتظار بدء الحساب، وقد أخبر الحق (جل وعلا) أن يوم الحساب طوله خمسين ألف سنة فقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ١: ٤)، وعلى الرغم من ذلك أخبر النبى ﷺ أن المؤمن والمؤمنة يمر عليهم يوم الحساب كما بين صلاة الظهر إلى العصر.

قال ﷺ: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»[٣].

وفى هذا الوقت ينادي منادٍ على سبعة أصناف ليتركوا

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير - صحيح الجامع (٣٩٢٩).

(٢) رواه أحمد وابن حبان - صحيح الجامع (٣٩١٨).

(٣) رواه الحاكم عن أبى هريرة - صحيح الجامع (٨١٩٣).

هذا الزحام الشديد والانتظار الموحش ليكونوا فى ظل عرش الرحمن فكان من هؤلاء السبعة «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». . . فتخيلى معى لو أنك جلستى يومًا فتذكرتى تقصيرك فى حق الله فسقطت دمعة غالية من عينيك (من خشية الله) فتلك الدمعة ستكون سببًا فى أن تستظلى بظل عرش الرحمن (جل وعلا). . . فى الوقت الذى وقفت فيه البشرية فى أرض المحشر بلا طعام ولا شراب ولا ظل (خمسين ألف سنة) وقد وقف الناس حُفاة عُراة غُرلاً . . . فأين دمعتك الغالية أيتها الأخت الفاضلة.

أما يستحق هذا المشهد أن تبذلى الدموع، بل والدماء من أجل النجاة من مشاهد يوم القيامة وكربها وأهوالها!

أختاه: تفكرى فى تلك الأهوال لتعلمى أن الحياة لا تستحق أن ينشغل قلبك بها طرفة عين ولتعلمى أن النجاة كل النجاة فى الاستعداد لهذا اليوم الذى لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أختاه: أسأل الله (عز وجلّ) أن يرزقنى وإياك عينًا باكية من خشيته وقلبًا مشغولاً بحبه ولسانًا لا يفتر عن ذكره، وأسأله (جل وعلا) أن يرزقنا جميعًا حُسن الخاتمة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)

• محتويات الكتاب •

الموضوع — الصفحة